

## كيف يتحقق النصر في العراق؟

بقلم: اندرو كربنفتش

مجلة الشؤون الخارجية، عدد سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٥

ترجمة : مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية

## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة العدد:

مجلة الشؤون الخارجية من المجالات المتخصصة والممتازة والمخصصة للنخبة الحاكمة وهي من المجالات القديمة التي يرجع تاريخها الى أوائل القرن الماضي ويكتب فيها كتاب مميزون أمثال هنري كيسنجر وبريجنسكي المعروفين وصموئيل هنتغتون وأمثالهم من خريجي أرقى الجامعات وخاصة هارفارد وكثيراً ما تجد المقالات والدراسات المنشورة فيها طريقها الى التأثير على النخبة الحاكمة وبالتالي التطبيق والتنفيذ، ونذكر هنا بأن مقالة هنتغتون حول صراع الحضارات قد نشرت لأول مرة في هذه المجلة الراقية، وهذه المجلة هي من إصدارات مركز أبحاث "مجلس العلاقات الخارجية" هذا المجلس الذي يضم قمم النخب الأمريكية، والتي كثيراً ما تجد طريقها الى السلطة التنفيذية وفي أهم مراكزها في البيت الأبيض ووزارة الدفاع والخارجية ومجلس الأمن القومي وغيرها. وقال البعض إن من يريد معرفة السياسات والإستراتيجيات الأمريكية فما عليه الا قراءة هذه المجلة التي تصدر كل شهرين مرة.

وإخترنا في هذا العدد دراسة إستراتيجية مهمة من عدد الشهر التاسع والعاشر من عام ٢٠٠٥ من هذه المجلة ، والتي تسلط الكثير من الضوء الساطع على الإستراتيجية الأمريكية المحتملة في العراق والتي تتعلق بكيفية القضاء على التمرد والإرهاب وعلى كيفية بناء القوات المسلحة والأمنية العراقية وعلى طريقة التعامل مع كل من الأكراد والشيعية والعرب السنة والعشائر.

هذه الدراسة تستحق الدراسة والتأمل وعقد الحلقات الدراسية حولها لكي يتم فهمها وتحليلها بشكل عميق وجدي لأخذ العبرة ووضع الخطط اللازمة لمواجهة التحدي والحذر منه.

وهنا تبرز عدة ملاحظات مهمة:

- مدة إجراء هذه الخطة تحتاج على الأقل الى عقد كامل من الزمان!
- حسب إستطلاعات الرأي في الولايات المتحدة يعتقد ثلثي الشعب بوقوع قوات التحالف في المستنقع العراقي.
- التأكيد على عدم القيام بإنسحاب غير مدروس من العراق.
- التأكيد على سياسة كسب العقول والقلوب والتي تمهد بدورها على الحصول على المعلومات الأمنية اللازمة من الناس.
- التأكيد على تطعيم وتغذية القوات المسلحة والقوات الأمنية بعناصر إستشارية أمريكية؟
- التأكيد على مدينتي بغداد والموصل كبداية لسياسة بقعة الزيت.
- التأكيد على التقليل التدريجي لأعداد القوات الأمريكية في العراق.

- التأكيد على الإختلافات والإتقسامات بين الأكراد والشيعية والعرب السنة والإختلافات العشائرية لضمان السيطرة على الوضع، وكذلك التخويف من الخطر التركي والإيراني لكي يرتمي الكل في أحضان الأمريكان.

- التأكيد على إستراتيجية واضحة للنصر ( وهذا ما يتم التأكيد عليه وتكراره في خطب وبيانات الرئيس جورج بوش مؤخراً) كوسيلة من وسائل إقناع الرأي العام الأمريكي وكسبه.

نأمل أن تكون هذه الترجمة خطوة أخرى على طريق بناء الجسر التواصلي مع العقل الأستراتيجي الأمريكي ومعرفة الخلفيات الفكرية والبحثية للسياسات المطبقة في العراق والمنطقة.

## كيف يتحقق النصر في العراق

بقلم: اندرو كرينيفتش

مجلة الشؤون الخارجية، سبتمبر / أكتوبر

٢٠٠٥

### خلاصة البحث

ان فشل القوات الامريكية في العراق في دحر المتمردين والقضاء على تمردهم أو تحسين الوضع الأمني، يعود الى افتقارها لاستراتيجية مدروسة ومنطقية. فكسب المعركة يتطلب موقفاً جديداً واسلوباً مختلفاً لمواجهة التمرد، موقفاً يركز على توفير الامن للعراقيين بدلاً من ملاحقة واقتناص المتمردين. وستأخذ هذه الخطوة عقداً من الزمان على الاقل.

وكاتب المقال اندرو كرينيفتش هو المدير التنفيذي لمركز تقييمات الميزانية والاستاذ المحاضر للسياسة العامة في جامعة جورج ماسون. وهو مؤلف كتاب "الجيش وفيتنام".

### المسعى المتعثر

بالرغم من تصريحات المسؤولين في ادارة بوش حول تعهد الادارة بتحقيق النصر والنجاح في العراق، الا ان نتائج السياسة المتبعة حالياً هناك لا تبشر بخير. فبعد عامين من الحرب في العراق، لم تحقق واشنطن الا تقدماً بسيطاً لا يكاد يذكر في دحر التمرد او ضمان الحياة الآمنة للشعب العراقي، بل ان هذه السياسة ادت الى اجهاد الجيش الامريكي

وتذمره من استمرار بقائه في العراق وتقويض الدعم للحرب بين صفوف الامريكيين عموماً. وعلى الرغم من ان الانسحاب في الوقت الراهن يعد خطأً واجراء غير مبرر، فان مواصلة النهج المتبع فعلاً مع كل العلامات والاشارات المطلقة هنا وهناك، لن تؤدي الى تحسين الاوضاع بأي حال من الاحوال. فالشيء المؤكد هو ان الفوز في العراق يتطلب موقفاً جديداً.

والمشكلة الاساسية تكمن في ان الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها لم تؤسس تحركها على استراتيجية محددة للقضاء على التمرد وتحقيق الاهداف الاوسع والأبعد من تلك التي ينشدونها من وراء هذه الحرب. ففي الجبهة السياسية، حاولت هذه القوى ايجاد عراق ديمقراطي، لكن هذا الامر يعد هدفاً وليس استراتيجية. اما على الساحة العسكرية، فقد سعت هذه القوى الى تدريب قوات الامن العراقية وتسليمها ادارة الحرب. ويمكن الاشارة هنا الى تصريح الرئيس الامريكي جورج بوش: متى ما تمكن العراقيون من الوقوف على ارجلهم وادارة امورهم بانفسهم، فاننا عندئذ فقط سنسحب من العراق. لكن الرئيس الامريكي يصف بهذه العبارة خطة انسحاب وليس استراتيجية.

والاكثر من ذلك، لا يمكن ايجاد طريقة افضل لحساب مدى التقدم المحرز، بدون استراتيجية واضحة ومعينة. وعلى هذا المنوال ادلى كبار الساسة والقادة العسكريون وفي عدة مناسبات بتصريحات متناقضة بشكل مبالغ فيه او حتى متناقضة الى حد بعيد. وفي

شهر مايو (ايار) من عام ٢٠٠٤، على سبيل المثال، وفي اعقاب احتلال المسلحين المتمردين لمدينة الفلوجة، صرح الجنرال ريتشارد مايرز، رئيس قادة جيش التحالف في العراق، قائلاً: "اني اعتقد بأننا اوشكنا على تحقيق النصر في هذه المنطقة." وبعد ستة اشهر من هذا التاريخ، وقبيل الهجوم الذي نفذ في شهر نوفمبر الماضي لاستعادة المدينة من ايدي المتمردين، وقال الجنرال جون ابي زيد، قائد القوات الامريكية في العراق وافغانستان: "عندما نكسب المعركة – وسننتصر فيها حتماً – لن يبق مكان او ملاذ للمتمردين ليختبؤوا فيه." وبعد استرجاع المدينة، صرح الفريق جون ساتلر، قائد القوات البحرية في العراق، بما مضمونه: ان قوات التحالف قصمت ظهر التمرد المسلح". مع ذلك، شهدت الاشهر المتعاقبة استمرار اعمال العنف بشكل حاد. وبالرغم من ذلك، ادعى نائب الرئيس الامريكى ديك تشيني، وبعد سبعة اشهر فقط، بأن حركة التمرد تمر بأيامها الاخيرة وهي في "حالة احتضار"، بل زاد عليه الفريق جون وينز، قائد القوات المتعددة الجنسيات في العراق، بالاعتراف قائلاً: "اننا لانرى انتشار او تقلص حركة التمرد في الوقت الراهن." وحسب استطلاعات اجريت مؤخراً، ايد معظم الامريكويون هذا التقييم الاقل تفاؤلاً والقائل بأن ثلثي الشعب الامريكى يعتقدون بأن قوات التحالف غرقت في المستنقع العراقي.

من جهة اخرى، بادر نقاد الادارة الامريكية الى طرح اقتراح لوضع جدول زمني لانسحاب القوات من العراق، بعنوان

خطة بديلة لهم. وهم يعتبرون العراق فيتناماً اخرى ويوصون بحل مماثل وهو: سحب القوات الامريكية والتطلع نحو الافضل. ويحتمل ان تكون تكاليف مثل هذه الدعوة التحررية غير الناضجة، باهظة بشكل مفرغ. فقد كان ممكناً ان يتحول التمرد في العراق الى حرب دموية اهلية، مع توريط سوريا وايران واقامهما في القتال الدائر في العراق. وقد يرى الاسلاميون الراديكاليون في الانسحاب الامريكى انتصاراً لهم، ويمكن للفوضى التي تعقب هذا الانسحاب ان تؤدي الى ارتفاع اسعار النفط.

فالولايات المتحدة بحاجة الى وضع استراتيجية جديدة، بدلا من جدول زمني لانسحاب، تكون مبنية على اساس حرب مضادة للتمرد. والى هذه الساعة، ركزت القوات الامريكية في العراق كل جهودها على مطاردة وقتل المسلحين المتمردين. والفكرة التي بنيت عليها هذه العمليات هي اضعاف العدو وتقويض قوته عبر تصفية مقاتليه بشكل اسرع من الوقت الذي يستغرقه استخدام مقاتلين بدائل. ورغم انه من السابق لاوانه القول بجزم فيما اذا كان هذا الموقف او هذا الاسلوب سيجلب النجاح في النهاية لهذه القوات، فان المؤشر الفعلي له لايشير بالخير من حيث انه حتى لو افلح هجوم لهذه القوات في تكبيد المتمردين خسائر جديّة في الارواح، فالقرائن الموجودة تدل على ان انسحاب القوات الامريكية لن يؤدي الى تحسن ثابت في الوضع الأمني في العراق او يؤدي الى استقرار نسبي ومحدود.

لذا وبدلاً من ذلك، يجدر بالقوات الأمريكية والعراقية ان تبادر الى تبنى استراتيجية "بقعة النفط" في العراق، التي تعد موقفاً متضاداً مع الموقف الفعلي أساساً. فهذه القوات عليها تركيز كل جهودها على ضمان الامن وتوفير فرص العيش للشعب العراقي بدلاً من التركيز على قتل المتمردين، كي يتسنى لها حرمان المتمردين والمسلحين من الدعم الشعبي الذي هم بأمرس الحاجة اليه. وبما ان القوات الأمريكية والعراقية غير قادرة على ضمان الامن في كل انحاء العراق في وقت واحد، لذا فهي مطالبة بالتركيز على المناطق الرئيسية والمهمة في بادئ الامر، ومن ثم تقوم بتوسيع نطاق جهودها مع مرور الزمن لتشمل بقية المناطق، لتحقيق لنا صورة توسيع نطاق بقعة النفط. وكانت هناك فرصة مواتية لنجاح مثل هذه الاستراتيجية فيما لو طبقت. لكنها تتطلب تعهداً بعيد الأمد من جانب مراكز القرار الأمريكية، واستعداداً لتقديم عدد اكبر من الخسائر والتضحيات على المدى القريب، مع حضور مستمر للامريكيين في العراق، ولو كان ذلك على مستويات ادنى بكثير في عدد الجنود من العدد الموجود فعلاً. واذا كان صناع القرار وأفراد الشعب الامريكيون غير مستعدين لتقديم مثل هذا التعهد، فينبغي بهم اجراء الترتيبات الاولية والتمهيدات اللازمة للتنازل عن عدد من الاهداف التي يسعون لتحقيقها في العراق وبشكل محسوس.

### المظهر الخارجي للتمرد

ان التمرد الذي يعصف بالعراق حالياً له ثلاثة مصادر. احدها انعدام التخطيط لما

بعد الحرب من جانب امريكا والذي يتعدى تفسيره. فالفراغ الامني الذي اعقب سقوط نظام صدام حسين وفر للعناصر المعادية الفرصة لتنظيم صفوفها، كما مهدت خطط الاعمار الضعيفة التصميم والمطولة الطريق امام المتمردين لاستخدام هذا الكم الهائل من العاطلين عن العمل وضمهم الى صفوفهم. والمصدر الثاني هو اسلوب الحكم التقليدي في العراق حيث يفسح المجال لاولئك القادرين على مسك زمام السلطة عبر العنف والصراع للوصول الى سدة الحكم. وقد خلقت علامات واشنطن غير الواضحة والمربكة انطباعاً من ان القوات الامريكية قد تغادر العراق في القريب العاجل، مما يفسح المجال امام صراع على السلطة والحكم في العراق. (وهذا هو السبب الذي حدا بالعرب الشيعة والاكرد، ورغم تاييدهم للحكومة الجديدة، الى رفض حل ميليشياتهم المسلحة).

والمصدر الثالث لهذا التمرد يكمن في الحقيقة القائلة ان المقاتلين جعلوا من العراق مصدر التهديد الرئيسي في حربهم ضد الولايات المتحدة، نتيجة لتأثرهم بانعدام الامن في العراق ووجود ١٤٠ الفا من "الاهداف" الامريكية.

وفي الوقت الراهن تسيطر على هذا التمرد جماعتان وهما: البعثيون من السنة العرب والمقاتلون الاجانب. ورغم صعوبة تقييم مدى قدرتهم بدقة، فان المجموعة الاولى تعد الاكبر بشكل واضح، حيث تضم عشرين الفا، في حين يقدر عدد المقاتلين الاجانب بالمئات فقط. فالبعثيون، وهم الاعضاء

تكاليف ونفقات استمرار التدخل والتورط الامريكي في العراق وكذلك اضعاف الدعم للحرب والحث على عودة الامريكان الى بلادهم، للتعجيل بانسحاب القوات الامريكية من العراق.

ورغم اثباتهم لمرونتهم ودهائهم، الا ان المتمردين ابدوا علامات ضعف جدية ايضا. ولو اجرينا مقارنة بينهم وبين مناوئي الولايات المتحدة في فيتنام، لظهر لنا ان المتمردين جماعة صغيرة نسبيا ومعزولة؛ فالمتمردون العراقيون لا يتجاوز عددهم بضعة عشرات الآلاف في حين كان عدد الشيوعيين الفيتناميين يتجاوز هذا العدد بعشرات المرات. والمتمردون العراقيون قلما يقاتلون على شكل مجموعات تضم مائة من المقاتلين لكل منها، بينما واجهت القوات الامريكية في فيتنام مجموعات وتشكيلات من قوات العدو منسقة ومنسجمة وبحجم اكبر بكثير. كما كان الفيتناميون، وهم من المحاربين القدماء لعقدين من حرب مستمرة ضد اليابانيين والفرنسيين والفيتناميين الجنوبيين، كانوا مدربين بشكل افضل بكثير ويملكون قيادة مستعدة افضل بكثير مما كان عليها المتمردون العراقيون، وكانوا يحظون بدعم خارجي من جانب الصين والاتحاد السوفيتي. وفي مقابل ذلك، كان الدعم المقدم للمتمردين العراقيين من جانب ايران وسوريا والاسلاميين الراديكاليين في اماكن اخرى، كان يتسم بالضحالة والمحدودية بالمقارنة مع الدعم المقدم للفيتناميين.

السابقون في حكومة صدام، يأملون في استعادة السلطة والعودة الى الحكم. اما المقاتلون الاجانب فهم يريدون تكبيد امريكا الهزيمة وتسديد ضربة لنفوذها في المنطقة، وتشكيل دولة اسلامية اصولية في العراق.

ويعلم كلا معسكري المتمردين بانهما غير قادرين على دحر قوات التحالف بقيادة امريكا في الجبهة العسكرية. وان افضل فرصة للنجاح في هذه المعركة تتمثل في انتظار انسحاب امريكي غير مدروس، ليقوموا بعد ذلك بانقلاب تتمكن فيه جماعة صغيرة مدربة ومنظمة بشكل جيد ومدعومة من قوى اجنبية من استعادة السلطة وانتزاعها من ايدي نظام ضعيف المعنويات ومرتبك. ولتحقيق هذا الهدف، يقاتل المتمردون لاستمرار الاضطراب ولايجاد العراقيين امام اقامة حكومة عراقية شرعية وديمقراطية. ويأمل المتمردون من وراء اشاعة اجواء الرعب وانعدام الامن، والاحباط، يأملون في تفويض الدعم الشعبي للحكومة القائمة. والمقصود من الهجمات الوقحة المنفذة ضد قادة الحكومة ورجال شرطتها توجيه رسالة باردة الى الشعب العراقي مفادها: اذا لم تكن الحكومة قادرة على حماية نفسها ضد الهجمات، فكيف يمكنها حمايتك ايها المواطن؟ وتدمير البنية التحتية الوطنية للعراق يمثل تأكيدا على اخفاق الحكومة في توفير الخدمات الاساسية مثل الماء والكهرباء والحفاظ على مستوى الانتاج النفطي الذي يعتمد عليه رخاء العراق. ويسعى المتمردون من خلال تكبيد القوات الامريكية الخسائر في الارواح، الى رفع مستويات

يضاف لذلك ان السمة الغالبة على المتمردين العراقيين هي عزلتهم وانفصالهم عن الشعب العراقي. فالسنة العرب يشكلون الغالبية العظمى في قوات المتمردين لكنهم لا تتجاوز نسبتهم العشرين بالمائة من مجموع الشعب العراقي، والمقاتلون هم في الغالب من غير العراقيين. لذا لا توجد اي فرصة امام حركة التمرد لاثارة انتفاضة جماهيرية واسعة النطاق تشمل الشيعة العرب والاكرد. وفي واقع الامر، ورغم كل المصائب والويلات التي تحملها الشعب العراقي، لا تشاهد اي علامة تدل على اقتراب العراقيين من اعلان ثورة جماهيرية ضد قوات التحالف بقيادة امريكا او الحكومة العراقية المؤقتة. ولا يعد ذلك امرا مثير للدهشة، لان المتمردين لا يمتلكون رسالة ايجابية تعينهم على الخطوة بدعم شعبي. وعودة البعثيين للحكم ستعني الرجوع لنظام صدام المستبد، وستؤدي بالمقاتلين الى فعل الشيء الذي قام به الاسلاميون المتطرفون في افغانستان وايران، اي اقامة نظام ارهابي قمعي.

وعلى هذا الاساس فان نجاح التمرد يعتمد على استمرار الاضطرابات وحالة اللا أمن لاعاقبة الجهود الرامية لايجاد عراق ديمقراطي ومستقر، وتقويض استعداد وعزيمة التحالف لادامة المسير وفرض السيادة. ويعتقد المتوردون ان التحالف يفتقر الى القدرة على الاحتمال، ويقدمون الدليل على ذلك متمثلا بانسحاب القوات الامريكية من لبنان في اعقاب تفجير مقر المارينز في بيروت في العالم ١٩٨٣ وانسحابها من الصومال بعد

عشر سنوات من ذلك في اعقاب مقتل ١٨ من الجنود الامريكان. ويأمل المتوردون البعثيون ان يتمكنوا من خلال الدعم المقدم لهم من سوريا ودول عربية اخرى من الاطاحة بالحكومة الجديدة بعدما يفلحون في التغلب على الامريكيين. ويحتمل لهذا التحرك ان يشعل فتيل حرب اهلية، يكون الشيعة العرب فيها مدعومين من جانب ايران. وقد تتوفر افضل فرصة للاسلاميين الاصوليين للاستحواذ على السلطة وسط الاوضاع الفوضوية السائدة في العراق.

### مراكز الثقل

في اجواء الحرب التقليدية تعتبر القوات العسكرية للعدو وعاصمته في الغالب مراكز ثقل له، مما يعني ان فقدان احدهما يشكل هزيمة وانحارا له. وكمثال على ذلك يمكن القول ان قوات التحالف ركزت كل جهودها اثناء الحرب في العراق على ضرب وتدمير قدرة قوات الحرس الجمهوري الموالية لصدام واحتلال بغداد. لكن مراكز الثقل في الحرب المضادة للارهاب والتمرد تختلف تماما، حيث يعد تركيز كل الجهود على دحر قوات وجيش العدو عبر اشكال المواجهة التقليدية، خطأ فادحا.

وهناك ثلاثة مراكز ثقل للقتال الدائر في العراق: الشعب العراقي، والشعب الامريكي، والجندي الامريكي. وقد ادرك المتوردون كل ذلك، وجعلوا كل هذه المراكز الاهداف الاساسية لهجماتهم. وبالنسبة للولايات المتحدة فهي ترى ان المفتاح للحصول على واحد من هذه الاهداف يكمن في "كسب القلوب



والعقول". ويجب ان يقتنع الشعب العراقي بأن حكومتهم تقدم لهم حياة افضل من تلك الحياة التي يقدمها لهم المتمردون، وينبغي ان يكون تفكيرهم قائماً على اساس سيادة حكومتهم وبقائها. واذا كانت هناك شكوك لديهم ازاء اي من هذين الهدفين، فانهم سيحبسون دعمهم. وعلى الشعب الامريكي ان يكون اعتقاده متمركزاً على نقطة واحدة وهي ان الحرب تستحق التضحية، بالارواح والاموال، وان يكون تفكيره منصبا على ان هناك بعض التقدم تحرزه امريكا في العراق. واذا نجح المتمردون في احباط ارادة الامريكيين، عندها ستضطر واشنطن الى رفع يدها عن النظام الفتى في بغداد وتركه قبل ان يكون قادراً على ادارة الامور بالاعتماد على نفسه وقواته. وأخيراً ينبغي بالمجنّد الامريكي ان يعتقد ان الحرب بحاجة للتضحية وان يؤمن بوجود تقدم نحو النصر. فامريكا، وخلافاً لما جرى في فيتنام، تشن حرباً بجيش كله من المتطوعين مما يعطي الجندي الامريكي (او رجل المارينز) صوتاً في القتال الدائر. وعلى الجنود الامريكيين، الذين يعدون بـ ١٥٠ الفا في العراق وافغانستان، عليهم التناوب والعودة الى مناطق وميادين الحرب بسرعة عالية. واذا طرأ اي ضعف أو احباط في الايمان والثقة بالحرب، فان المحاربين سيعطون رأيهم القاطع برفض اعادة تسجيل اسمائهم والتطوع للقتال، وسيتجنب المجنّدون الجدد توقيع عقود الخدمة في المقام الاول. وفي حالة حصول ذلك، لن يكون بمقدور الولايات المتحدة مقاومة التحديات او تحمل اي شيء يمس

جهدهم الفعلي في العراق. وان اي خفض متهور وغير مدروس للقوات الامريكية يمكن ان يؤدي الى تقويض ارادة الشعبين الامريكي والعراقي اكثر مما هي عليه الآن. وفي الوقت الراهن تتسم معدلات التطوع لقوات الجيش والمارينز الامريكية بالاندفاع القوي. لكن التجنيد للجيش الامريكي يشهد الانخفاض والتراجع بشكل محسوس واساسي.

وعندما يدور الحديث عن هذا القتال فان المتمردين يمتلكون الورقة الراححة: فهم بحاجة الى كسب احد مراكز الثقل الى جانبهم ليحققوا الفوز في المعركة، بينما تحتاج الولايات المتحدة لكسب دعم مراكز الثقل الثلاثة بأجمعها. وبجعلهم الامور اكثر تعقيداً مما هي عليه لقوات التحالف، فالفرقة - ٢٢ تدير القتال ضد التمرد: الجهود المعدة لضمان كسب احد مراكز الثقل قد تؤدي الى احباط آفاق الحصول على المراكز الاخرى. وكمثال لذلك، فان نشر القوات الامريكية المتزايد في العراق - الذي يتطلب انفاق ثروات اكبر واجراء عدة تنقلات للقوات الى داخل وخارج العراق - قد يعزز ضمان الأمن للشعب العراقي لكنه يؤدي الى اضعاف الدعم للحرب بين صفوف الشعب والجيش الامريكي. ولو اخذنا في الاعتبار طبيعة العمليات العسكرية الامريكية ضد المتمردين، لادرنا حجم هذه المجازفة وضخامتها. فالامريكان يركزون كثيراً على تدمير قوات المتمردين مع تقليص حجم الخسائر والاصابات في صفوف قواتهم مع تأكيد اقل على ضرورة توفير امن ثابت للشعب العراقي؛ مع بذل جهد عظيم على

مناورات كاسحة دون حضور دائم، وتأكيدي قليل على تنسيق فاعل للمساعي المبذولة لاحتلال الأمن وإعادة الاعمار؛ مع اعطاء اولوية الى ميادين القتال واعطاء اولوية ضعيفة جدا لضمان فاعليتهم.

ويمكن القول ان السبيل الرئيسي لضمان كسب مراكز الثقل في الحرب الدائرة في العراق يكمن في ادراك الحقيقة القائلة بأن القوات الامريكية تحظى بالمنافع الغالبة فيما يتعلق بالقدرة على القتال والتحرك في سوح الحرب، لكنها لا تمتلك الا نزرًا يسيرا من القدرات المعلوماتية والامنية. فلو كانت هذه القوات تعلم هوية المتمردين وانتماءاتهم واماكن تواجدهم، لكان بإمكانها القضاء على حركة التمرد. ومن الامور المؤكدة ان الشعب العراقي يعد افضل مصدر لهذه المعلومات الامنية المهمة عن المتمردين، لكن القوات الامريكية والمتحالفة معها لايمكنها الحصول على هذه المعلومات الا من خلال كسب قلوب المواطنين العراقيين وعقولهم – اي باقناعهم بأن دحر المتمردين يصب في صالحهم، وانهم يمكنهم ان يساهموا في نقل المعلومات عنهم دون اي وجل او خوف من انتقام المتمردين.

### دروس من التاريخ

ان عمر حركات التمرد بعمر الحرب نفسها، لذا لا يوجد نقص في استراتيجيات محاربة التمرد الموجودة فعلا لوضعها مجددا. فقد قمع الرومان تمردات حصلت ضدهم بصراوة وقساوة لامتناهية الى درجة انه قيل عنهم بانهم "يريدون خلق صحراء ويطلقون

عليها اسم السلام". وغالبا ما حافظ البريطانيون على النظام والأمن عبر اتباع سياسة "فرق تسد". فهم قد يدعمون احد التنظيمات المتنافسة على السلطة، وفي مقابل ذلك الدعم يريدون من هذه الجماعة المفضلة لديهم ان تحافظ على مصالحهم في ذلك الجزء من العالم. ولا تحظى اي من هذه الاستراتيجيات بتلك المحبوبة والجاذبية المنشودة هذه الايام. والموقف الروماني على طرفي نقيض مع القيم والمعتقدات الامريكية، والاستراتيجية البريطانية يمكن ان تقود الى علاقة من نوع التابع – الكفيل مع نظام غير ديمقراطي، وهي العلاقة التي تأمل ادارة بوش جاهدة رعايتها وتغذيتها في العراق.

وكانت الاستراتيجية الامريكية خلال حرب فيتنام تركز على قتل المتمردين على حساب كسب القلوب والعقول، الذي تجاهله الامريكان. واثبتت استراتيجية ابحت ودمر هذه فشلها في نهاية الأمر، لكنها تستمر وبشكل جلي في فرض جهد قوي على الجيش الامريكي، كما اشارت لذلك تصريحات قادته كتصريح قائد كبير في الجيش الامريكي في العراق حيث قال: "اني لا ارى بأننا سنبدل جهدا مضاعفا لتجربة القول القديم: اكسب القلوب والعقول. واني لا اعتبر ذلك أحد معايير النجاح". وبتخليهم عن عناء شن حرب ضد التمرد طوال الثلاثين عاما الماضية، يعرض الجيش الامريكي نفسه لخطر الفشل في تحقيق ما هو بأمرس الحاجة اليه (وهو الفوز بقلوب العراقيين وعقولهم) لصالح ما نجح في فعله تقليديا وعلى احسن ما يكون

(ابحث عن العدو ودمره). وهكذا فان القوات الامريكية شقت طريقها للامام بعمليات هجومية من هذا النوع في غرب العراق، اسفرت عن اصابات وخسائر بالارواح في صفوف المتمردين لكنها كانت ذات تأثير ضعيف لا يذكر على الوضع الامنى عموماً.

وفي المقابل، تركز استراتيجية بقعة الزيت على احلال الامن للناس، من اجل الفوز بالقلوب والعقول بشكل ادق. وقد استخدم البريطانيون هذه السياسة بنجاح في الخمسينات في ماليزيا كما فعل الفلبينيون ضد متمردي هوك. ولو اخذنا في الاعتبار مراكز الثقل وحدود القوات الامريكية في العراق، فان سياسة بقعة الزيت – التي تكون العمليات العسكرية فيها موجهة نحو توفير الأمن للسكان ومن ثم التوسع تدريجياً ولكن بصورة غير رحيمة لزيادة السيطرة على المناطق المتنازع عليها – يمكن ان تفلح في تحقيق الغرض المطلوب.

ويمكن القول ان قوات التحالف والميليشيات المحلية، مثل قوات البيشمركة الكردية، تقوم حالياً بتوفير مستوى عال من الامن في ١٤ محافظة من محافظات العراق الثماني عشرة. وتؤلف هذه المناطق "المنطقة الخضراء" الحقيقية للعراق (الاصطلاح المستعمل عادة لوصف الجزء المحصن بشدة من بغداد حيث يقع مقر القيادة الامريكية). وفي هذه المحافظات، يعيش الناس حياة عادية وأمنة. في حين تتألف بقية انحاء العراق – المنطقة الحمراء – من محافظات يسودها انعدام الامن مثل الانبار، وبغداد، ونيوى

وصلاح الدين، التي غالبية سكانها من اهل السنة. ويجب بدء حملة بقعة الزيت بتعزيز الامن وضمانه في المنطقة الخضراء. كما ينبغي بالحكومتين الامريكية والعراقية تركيز جل جهودهما على مشاريع اعادة الاعمار، لمكافأة الولاء للحكومة ولتقليص نفقات وثمان الامن على المشاريع.

وبداية، على القوات الامريكية وقوات التحالف بذل المزيد من الجهود لدعم وتقوية قدرات القوات العراقية في تنفيذ عمليات مكافحة التمرد : من خلال تدريبها، وتغذية وحدات الجيش العراقى بالجنود ورجال المارينز الامريكيين، مع تجهيز وتوفير قوات الرد السريع لاسناد العراقيين عند الضرورة. ويجب ان يكون جهد التغذية اوسع نطاقاً واكبر حجماً مما هو مخطط له فعلاً، ولا بد من تعيين أمهر واكفأ الجنود في الجيش الامريكى للقيام بهذه المهمة. وستشتمل هذه المغامرة على بعض المخاطر، لوجود احتمال من ان يتعرض هؤلاء المجندون الامريكىون الى المزيد من الاصابات اكثر مما يتعرضون له وهم داخل الوحدات الامريكية. لكن ثمن ذلك سيكون باهظاً جداً ايضاً.

والتحديات التي ترافق عمليات تدريب قوات الامن العراقية تم تسجيلها في وثائق، لكن مازال بإمكان الولايات المتحدة تحسين وضعها وجهودها الفعلية. وسيكون تغذية المزيد والاكفأ من الجنود الامريكىين الى وحدات الجيش العراقى شبيهاً بادخال قضيب تقوية فولاذي داخل الاسمنت المسلح. ويمكن لتغذية عدد اكبر من الجنود (الى القوات

العراقية) ان تدعم تدريب ضباط عراقيين، إضافة الى تسهيل تحديد وتقديم قادة عراقيين اكفاء (واخراج من هم دون المستوى). وأخيراً ومن خلال تمركز القوات العراقية في مناطق آمنة عموماً وفي مناطق مختارة لهجمات أمنية، يمكن لاستراتيجية بقعة الزيت ان تقلل من حجم المخاطرة بأن تجد وحدات الجيش العراقي المدربة حديثاً نفسها بلا حماية من فوق رؤوسها ودون دعم كاف.

كما ينبغي لكبار القادة الامريكان ان يكفوا عن الاجراء المضر بتنفيذ تنقلات دورية لكبار القادة العسكريين والمدنيين داخل وخارج العراق بما ان امكانية استبدالهم وتغيير مواقعهم موجودة فعلاً. فجنرالات الجيش الذين اظهروا كفاءة وقدرة في مواجهة المتمردين في افغانستان والعراق، جرى استدعاؤهم للخدمة في بلادهم. فمثل هؤلاء الضباط يجب ترقيةهم وابقائهم في العراق لمدة اطول. اما اولئك الذين ثبت فشلهم فيجب اعادتهم لبلادهم واستبدالهم بضباط اكفاء. وكما سجل لنا التاريخ مرارا وتكرارا، يعد القادة الكفاء عوامل قوة ومضاعفين للقوة، فهم يعملون على رفع وتعزيز معنويات وكفاءة القوات التي تحت امرتهم.

ويجب ان تشمل هجمات استراتيجية بقعة الزيت على جهود لتوسيع نطاق المنطقة الخضراء عبر ضمان المزيد من المنطقة الحمراء مع مرور الزمن. وفي كل مرحلة، تذهب ثروات ومصادر الامن واعادة الاعمار الى مناطق انتخبت كاهداف لهذه الهجمات والاعتداءات. ونظرا لكون القوات

والمصادر محدودة – ولان وضع الاساس لامن ثابت ومستديم في كل منطقة غير آمنة حالياً يستغرق وقتاً طويلاً، ربما نصف سنة او اكثر – فان هجمات بقعة الزيت ستكون مطولة بشكل نموذجي في طبيعتها.

ويبدأ كل هجوم باجتياح وحدات الجيش العراقي ومستشاريهم الامريكيين للمنطقة المستهدفة والعمل على تطهيرها من قوات التمرد الرئيسية. وتقوم هذه الوحدات بعد ذلك بتدمير التشكيلات الاصغر واتخاذ مواقع لها في المدن الصغيرة (او القطاعات في حالة المدن الكبرى) من المنطقة التي ظهرت من المتمردين، وتوفير الامن لهذه المنطقة. وبعد ذلك تصل قوات الشرطة الوطنية وتبدأ بدوريات الحراسة والامن وعمليات تأهيل وتدريب الشرطة المحلية وقوات الامن العاملة مع الجيش. ومع تطور وتنامي هذه الجهود، تتحول وحدات الجيش العراقي نحو القيام بدوريات حراسة مكثفة على طول محيط بقعة الزيت لاحباط ودرء تهديدات المتمردين وابعادهم عن المناطق التي توفر الامن فيها حديثاً. وستعمل قوة رد سريع مؤلفة من وحدات من الجيش الامريكى او العراقي على مواجهة اي اختراق للمتمردين لمنطقة الدورية. وتبدأ بعد ذلك وحدات فاعلة من قوات الامن العراقية والامريكية عملية اختراق خلايا المتمردين المحلية واستخدام المواطنين العراقيين لأداء هذه المهمة. ورغم ان الجهود المبذولة فعلاً لاختراق المتمردين اثمرت عن نتائج متفاوتة وغير منتظمة، فان استراتيجية بقعة الزيت ستعطي قوات

الاستخبارات الامريكية والعراقية الفرصة الكافية اللازمة للنجاح بتكليف قوات التحالف بمهمة توفير مستوى ثابت من الامن.

وستسهل العمليات الامنية هذه تنفيذ مشاريع اعادة الاعمار، وتقدم للعراقيين وعودا بحياة افضل. كما يضمن الامن المستديم بقاء منافع اعادة الاعمار، ويصونها ضد اعمال التخريب والمصادرة من جانب المتمردين والمخربين. كما تمهد الارضية لاصلاح اجتماعي يوفر للنساء، مثلا، الفرصة للذهاب الى المدارس دون اي خوف من انتقام الاسلاميين الاصوليين كما توفر الفرصة لاجراء اختبارات دقيقة وعمليات تدريب لقوات الامن المحلية قبل تسلمها المهام المناطة بها وتحملها للمسؤوليات. وأخيراً يساعد الامن الثابت في اقناع المواطنين المحليين بان الحكومة جادة في حمايتهم والدفاع عنهم. وسيكون الهدف الاكبر والابعد بالطبع مدى كسب دعمهم المؤثر الذي سيعتمدون عليه كأساس للبدء بحملة مفترضة لتزويد الحكومة بالمعلومات الامنية المهمة حول هؤلاء المتمردين، الذين ذهبوا بعيدا ونفذوا عمليات تخريب في المنطقة الآمنة. ومتى ما شاهد الناس منافع ومكاسب استتباب الامن وعملية اعادة اعمار البلاد – وليس الى ذلك الحين – يمكن اجراء انتخابات محلية.

ولو اخذنا في الاعتبار شحة المصادر العسكرية والمالية، لا بد من الاعتراف بانه من اللازم مراعاة الدقة عند انتخاب اهداف هجمات يقعة الزيت. وسيكون الهدفان المنشودان اكثر من غيرهما بغداد ومدينة

الموصل الشمالية. فكلاهما مركزان سياسيان واقتصاديان رئيسيان يقعان على حدود المناطق الآمنة. وبغداد، باعتبارها عاصمة العراق، لها قيمة رمزية عظيمة. وان المنطقتين تقعان في نطاق المنطقة العملياتية للقوات الامريكية، التي تعد الاكثر اقتدارا من بين قوات التحالف.

وينبغي بالقوات الامريكية والعراقية تصفية وصلف خياراتها باستهداف تلك المناطق التي يمكنها ان تجد فيها حلفاء لها من بين العشائر، ويجب عليها وضع خطط اعادة اعمار تتضمن من خلالها حظوة شيخ العشيرة المتعاون معها بالثقة والاعتماد بعونه للقوات في اعين افراد قبيلته او عشيرته. فان ضمان مثل هذه الثقة سيزيد في الحوافز لدى افراد قبيلته للتعاون مع القوات لضمان نجاح عملية اعادة البناء، وقد يساعد في اقناع العشائر لتقديم المعلومات الامنية حول اعمال التخريب المحتملة او حتى دعم عمليات استتباب الامن واسنادها بشكل فاعل.

وعندما تكون القوات المحلية مستعدة لتحمل اعباء المسؤولية الرئيسية لاحلال الامن في المنطقة الموجودة فيها، فان معظم وحدات الجيش العراقي في هذه المنطقة، ورجال الشرطة الوطنية ومسانديهم الامريكان مطالبون بتوسيع نطاق استراتيجيتهم بقعة الزيت اكثر. ولكن ينبغي بعدد من قوات الرد السريع البقاء في المنطقة الاولية لضمان وجود الدعم الكافي لقوات الامن عند الضرورة.

ورغم حقيقة ان ضمان امن النقاط المستهدفة في المنطقة الخضراء وكذلك البنية

ممكنا لعدة اسباب. وان زيادة عدد المستشارين العسكريين الامريكيين داخل وحدات الجيش العراقي المشكلة حديثا ستمكن هذه الوحدات من تعزيز قدراتها بشكل اسرع، وان تقليص عمليات الاجتياح غير المدروسة سيوفر الامكانية لاستخدام القوات الامريكية بشكل اكثر فاعلية وتأثيرا. ومن جهة اخرى، سيؤدي الاحتفاظ بجنرالات الجيش الامريكان في العراق لفترات طويلة، الى تقوية كفاءة الجيش وقدراته، حتى لو كان ذلك على مستويات ادنى من القوات.

### الصفقة الكبرى

لقد صرح الفريق سير جيرالد تمبلر، المفوض الاعلى البريطاني وقائد العمليات خلال تمرد شبه جزيرة الملايو في الخمسينات، صرح قائلاً: ان الجوانب السياسية والعسكرية للقوات المواجهة للتمرد يجب ان تكون مترابطة ببعضها البعض بشكل تام ومتكامل. لذا يجب عليها البقاء في العراق. وبينما تأخذ عمليات الجيش الامريكى شكل حملة بقعة الزيت، يجب ان تكون الجهود السياسية تستهدف عقد صفقة كبرى مع الشعب العراقي. وستعمل هذه الصفقة على وضع الاساس لتطور تدريجي للقاعدة العريضة التي يحتاجها العراق لتدعيم ونشر الديمقراطية الثابتة.

وستشمل هذه الصفقة الجماعات الدينية والعرقية الرئيسية في العراق وكذلك العشائر والاسر المعروفة. وستكون افتراضاتها الاساسية مبنية على وجود عناصر

التحتية الاساسية والمناطق الآمنة سابقا يجب ان يحتل الصدارة في اهتمامات الجيش، لا يمكن ترك المحافظات التي فرض الامن فيها دون قوات لحفظ امنها مما يسهل للمتمردين التحرك فيها. بل ينبغي وضع دوريات صغيرة وموسعة من قوات المهمات الخاصة الامريكية (واحيانا العراقية) في المنطقة الحمراء لتتمكن من اداء مهمة توفير المعلومات الامنية وارسال انذارات مبكرة عن نشاطات المتمردين المهمة، وحرمان المتمردين من اللجوء الى اماكن آمنة، وتجديد قدرتهم ومنعهم من الاستراحة واعادة تنظيم صفوفهم او اعداد الخطط للهجوم. واذا حاول المتمردون احتلال مدينة كبيرة، كما فعلوا في الفلوجة، ينبغي بالقوات الامريكية والعراقية تشكيل فرقة ضاربة وتكليفها بهمة اخراجهم من هذه المنطقة. لكن مثل هذه العمليات يجب ان تبقى كعمليات ثانوية وتابعة لاستراتيجية بقعة الزيت الشاملة، وتركز اهتمامها على حماية امن السكان، وليس ملاحقة وتعقيب قوات المتمردين.

والمكسب المهم لهذه الاستراتيجية، لوسلنا بالمخاوف المتزايدة ازاء مشاكل استخدام الجيش الامريكى للمجندين وتدني مستوى دعم الرأي العام الامريكى، هو إمكانية توفير الفرصة لتنفيذ الاستراتيجية، وبضمنها الهجمات على بغداد والموصل، بعدد اقل من (١٤٠٠٠٠) من الجنود الامريكيين الموجودين فعلا في العراق – وربما يكون عدد (١٢٠٠٠٠) من الجنود كافيا لهذه المهمة. وتقليل (٢٠٠٠٠) من هذه القوات سيكون

بارزة في كل مجموعة عرقية ودينية ترغب في دعم ايجاد عراق ديمقراطي موحد؛ وامكانية تشكيل ائتلاف واسع وشامل لتحقيق هذا الهدف مع مرور الوقت؛ وان الولايات المتحدة راغبة للقيام بجهد بعيد الامد قد يدوم لعقد من الزمان او اكثر، لضمان نجاح الصفقة الكبرى. وربما سيكون الاكرد اسهل المجموعات التي يمكن كسب دعمها. فهم يريدون ان يتم القضاء على التمرد وكذلك بقاء القوات الامريكية لامد بعيد لحمايتهم ضد هيمنة الشيعة او عودة السنة للحكم، وكذلك ضد التهديدات الخارجية الموجهة من ايران وتركيا. كما يحتمل ان يكون عنصر سني صغير، ولكن ذو شأن في الوقت نفسه، يكون راغبا في دحر التمرد، اذا حصل على تعهد بحضور امريكي طويل الامد لحمايته ضد هيمنة (او عقوبة) شيعية وضد محاولات ايرانية لفرض حكومة بقيادة شيعية في العراق. فغالبيت الشيعة، حالهم حال الاكرد، يأملون في رؤية التمرد وقد قضى عليه. والبعض منهم يتتابههم القلق ويتحذرون من محاولات ايرانية يراد منها زعزعة استقلال العراق. وربما يقبل هؤلاء حضورا امريكي طويل الامد لحمايتهم ضد محاولات التخريب الايرانية، وللتقليل من اخطار اندلاع حرب اهلية قد تهدد مكاسبهم الطبيعية بالاسهام في ديمقراطية عراقية.

ولن تسعى هذه الصفقة الكبرى الى كسب دعم الجماعات العراقية الرئيسية بالكامل، وانما دعم قسم اساسي من كل مجموعة، توفر بمجموعها كتلة حرجة تدعم

الاهداف المشتركة المذكورة اعلاه. وبما ان دحر او اخماد التمرد يعد خطوة واحدة نحو تحقيق هذه الاهداف، فان كل مجموعة سيكون لها حافز لامتلاك عراق يتم فيه الاحتفاظ بعدد من القوات الامريكية للفترة التي تعقب دحر التمرد - شىء حرج لتحقيق الاهداف الامنية الاوسع للولايات المتحدة. وبموجب الصفقة الكبرى، قد يتمكن العراقيون من اكتشاف حقيقة انه بالرغم من كون وجود محتلين امريكيين امرا يمس شعورهم بالانتماء الوطني، لكن مع وجود نظام عراقي سيادي يكونون مستعدين لتحمل بقاء قوة اصغر بكثير كضيق على بلادهم.

وان دمج هذا التحالف مع بعضه البعض سيتطلب ادراكا جيدا للسياسة العشائرية العراقية. وفي العديد من مناطق العراق، تعد العشيرة والاسرة اساس المجتمع، وهي تمثل نوعا من البديل للحكومة. (وقد تلاعب صدام ببراعة بهذه العلاقات والروابط العشائرية والاسرية واستغلها لادامة حكمه وتسلمه). وتوجد حوالي ١٥٠ عشيرة في العراق وباحجام مختلفة ونفوذ متفاوت، وان ٧٥% من العراقيين اعضاء في العشائر والقبائل. وان ايجاد ائتلاف من هذه المجموعات سيتطلب رسم خارطة منتظمة للتركيبات والولاءات العشائرية والقبلية، والعداوات والضغائن الدموية داخل الجماعات القبلية نفسها وفيما بين العشائر؛ والتعرف على النزاعات القائمة والتي لم يتم تسويتها؛ وتحديد الاتجاهات السياسية للعشائر المهيمنة والنافذة ومصادر قوتها وشرعيتها؛ وتعيين علاقاتها

واتصالاتها بالعشائر في دول اخرى، وخاصة في ايران وسوريا وتركيا.

ولتحقيق هذا الهدف، ينبغي بامريكا مساعدة الحكومة العراقية لتأسيس جهاز اممي عراقي يتولى جمع المعلومات الامنية عن المتمردين واختراق كياناتهم وبنيتهم التحتية. وعلى هذا الجهاز تقسيم العراق الى مناطق، وقطاعات، وشبكات محلية لجعل جهودهم محدودة ومتمركزة، مع اعطاء الاولوية لتلك المناطق التي إستتب الامن فيها او استهدفت بعمليات بقعة الزيت. ورغم ان القوات الامريكية وبقية قوات التحالف مطالبة بمراقبة ودعم هذا الجهد، الا ان العراقيين انفسهم، ونظرا لتفهمهم الافضل للثقافة المحلية، هم من يجب عليهم قيادة هذا الجهاز. ولكن نظرا لعدم استقرار وثبات السياسة العراقية، لذا لا بد من تطعيم جهاز الامن العراقي وتشكيلاته بعناصر امريكية "ضباط الشؤون العراقية" لمراقبة نشاطات العاملين في هذا الجهاز.

ويمكن لرسم خارطة قبلية دقيقة، ان ترشد الى تشكيل أحلاف بين الحكومة العراقية الجديدة وعدد من العشائر والاسر، وتحسين عملية تحديد اهلية المتطوعين للخدمة العسكرية والموظفين المدنيين، وتعزيز مصادر المعلومات الامنية حول تنظيمات المتمردين وبناهم التحتية. والاهم من ذلك، سيسهل ذلك التوصل الى ابرام الصفقة الكبرى عبر تشخيص العشائر الكردية والسنية والشيعية التي يحتمل ان تدعم قيام دولة عراقية موحدة ومستقلة وديمقراطية. وفي المقابل، ينبغي بالاحلاف العشائرية ان تجني

فوائد مباشرة اكثر، مثل الاولوية في شمول عمليات اقرار الامن واعمال اعادة الاعمار. وهناك اخطار ومجازفات لعملية تشكيل احلاف من الجماعات العشائرية. فالاحلاف العشائرية غالبا ما تكون مؤقتة وسريعة الزوال، والتحالف ينبغي ان يكون مستعدا للتحول بولائه للوراء وللأمام ما بين القبائل المتنافسة وبشكل سريع. كما يوجد خطر نابع من بروز العشائر كبداية للحكومة. وان اتخاذ احدي العشائر كحليف قد يخلق اعداء من خارج نطاق العشائر المنافسة ممن كانوا حتى وقت قريب محايدين. وان تفعيل هذه الاستراتيجية وجعلها تحقق الهدف المرسوم لها سيحتاج الى جد واجتهاد دؤوب ودبلوماسية مجربة وخبيرة.

ومع احراز التقدم في اعداد الصفقة الكبرى وانتهاء هجمات بقعة الزيت الاولى، ستدخل هذه الاستراتيجية مرحلتها الثانية. وستشهد المرحلة الثانية خفضا محسوسا لعدد القوات الامريكية ومراتبها – ربما سيخفض العدد الى ٦٠٠٠٠ فقط – مما يعكس القوة المتنامية للحكومة وقوات الامن العراقية والقدرة الهابطة للمتمردين. وسيبدأ المستشارون العسكريون الامريكان بالخروج على مراحل من وسط اقدر وحدات الجيش العراقية. ومع مرور الزمن، حيث ينقلص وينحسر تهديد المتمردين الى مشكلة لاتكاد تذكر، سيجري تنفيذ المرحلة الثالثة من الاستراتيجية: سحب وحدات الجيش الامريكي ومعظم مستشاريه، باستثناء حضور عسكري رمزي يخلف وراءهم قد لا يتجاوز تعداد



أفراده ٢٠٠٠٠ جندي لصد وردع المتسللين والناهبين من ايران وسوريا. وستؤدي هذه المظلة الامنية الامريكية الى رفع حاجة بغداد لتنفيذ برامج مكلفة لصنع اسلحة نووية او كيميائية او جرثومية. وعلاوة على ذلك، ستعمل القوة العسكرية الامريكية المتبقية على إنشاء اي تنظيم عراقي داخلي عن محاولة الاطاحة بالحكومة.

### معايير افضل

لقد ركزت ادارة بوش ومنتقدوها ايضا في الغالب، وحتى هذه اللحظة، على معايير خاطئة لمحاكاة مدى التقدم الذي احرزته في الحرب في العراق. فالناقدون مثلا يستخدمون غالبا قدرة المتمردين للقيام بحساب التقدم المحرز. لكن من الصعب تقييم مستويات قوة المتمردين أو حسابها بشكل دقيق، وخاصة لأن العديد من المتمردين العراقيين (المقاتلين) ليسوا مشاركين دائمين في القتال الدائر ولاهم يعدون مؤمنين حقيقيين بالفكر البعثي او القضية الاسلامية المتطرفة. بل انهم اشخاص اجبروا على دعم التمرد او اناس وقع عليهم الاختيار من قبل المتمردين، الذين يدفعون اجورا للعراقيين العاطلين عن العمل لزرع ونصب المتفجرات المعدة من قبل في امكانها.

ويمكن كذلك استخدام عدد حوادث الهجمات والمواجهات المسلحة كعلامة على قوة المتمردين وتراجعها بعنوان دليل على ضعفهم. وينبغي حساب هذه الامور بعناية. وان تناقص او انعدام نشاط المتمردين لا يعني

بالضرورة نجاح القوات المحاربة للتمرد. وكان عدد حوادث القتال في اطراف الفلوجة خلال صيف عام ٢٠٠٤ منخفضا. مع ذلك لم يمكن هذا الامر دليلا على نجاح الحكومة العراقية في مواجهة التمرد، بل كان علامة واضحة على عجزها، لان المتمردين كانوا يسيطرون على المدينة بالكامل آنذاك. وعلى العكس من ذلك، فان عددا كبيرا من الهجمات قد تدل على ضعف المتمردين. حيث ان سلسلة متلاحقة من العمليات الهجومية المتهورة تعني انها ناتجة عن تخوف المتمردين من الهزيمة في الحرب وان عليهم فعل شيء ما والقيام بعمل مأساوي لقلب الامور وتغيير حظوظهم العائرة. انظروا مثلا لموجة العنف التي حدثت خلال انتخابات شهر كانون الثاني (يناير) من عام ٢٠٠٥ — وهي اعمال عنف اندلعت نتيجة لخشية المتمردين من نتائج الانتخابات، وليس نتيجة قوتهم المتنامية.

ورغم ذلك كله، يجدر بنا تتبع آثار نشاط المتمردين ليس لفهم فيما اذا تم احراز تقدم لكن بهدف التعرف على اولويات المتمردين ولكشف الاتجاهات في تصرفاتهم وسلوكهم. وعلى سبيل المثال، يمكن لاقتفاء آثار حوادث المواجهات ان يوفر لنا الغور عميقا في اتجاهات وحجم هجمات العدو، ومستوى نجاحها، والاولويات المستهدفة للمتمردين. وهذه المعلومات قد تمثل علامة على تحول في استراتيجيات المتمردين. وكمثال على ذلك، العلامات التي تبين بأن المتمردين بدأوا بتغيير اهداف هجماتهم والابتعاد عن شن

عمليات هجومية على مسؤولي الحكومة، مما يعني بان الجهود المبذولة لحماية ارواح المسؤولين الحكوميين قد نجحت وآتت اكلها. والى المدى الذي نعتبر فيه الاصابات والخسائر في الارواح في صفوف القوات الامريكية بأنها قوضت الدعم للحرب في العراق في صفوف الجنود والرأي العام في امريكا، فهي تمثل معيارا مهما لحساب مدى التقدم المحرز. لكن معدل الاصابات الفعلية ادنى بكثير من الخسائر التي تكبدها الجيش الامريكي في فيتنام، ومستوى الدعم بين صفوف اولئك المعرضين للخطر اكثر من غيرهم – الجنود ورجال المارينز الامريكان – يبقى قويا. فمنتسبوا الجيش واعضاء المارينز الامريكان يتجاوز عددهم معدلات التسجيل والتطوع للقتال. وجهد التجنيد في الجيش الامريكي هي التي تمر بمصاعب وتواجه عقبات، مما يدل على ان الامريكيين عموما مترددون كثيرا وبشكل متزايد في التطوع للخدمة في الجيش.

والامر الاكثر اهمية من الاصابات عندما يدور الحديث عن ضمان الامن لمركزي الثقل الامريكيين هو "مشكلة الراكب الحر". فاذا اعتقد الامريكان بان العراقيين لا يريدون القتال لنيل حريتهم ضد حركات التمرد غير الديمقراطية، فان الجنود الامريكان (والشعب الامريكي) قد تتزايد عندهم حالة التردد بشكل اكبر ازاء تقديم المزيد من التضحيات بالنيابة عن اولئك الذين يعتبرونهم المستفيدين الجشعين.

وهناك معايير اخرى اقل اثارا للمشاكل، اثبتت جدواها في حساب مدى التقدم المحرز في الحرب وجس نبض مراكز الثقل في الحرب. احد هذه المعايير هو عدد الاغتيالات لمسؤولي الدولة وقادتها الدينيين. ومن وجهة نظر الشعب، اذا كانت الحكومة غير قادرة على حماية مسؤوليها وضمان الامن لهم، فمن الصعب عليها بمكان حماية ارواح المواطنين وافراد الشعب. وفي المقابل، اذا كان المتمردون عاجزين عن حماية قادتهم ضد القتل او الاعتقال، فان ذلك سيثبط عزائم المتطوعين المحتملين الذين سوف يتوصلون الى حقيقة ان المتمردين غير قادرين على الدفاع عنهم او حمايتهم ضد الاخطار. والنجاح هنا سيكون دليلا واضحا على ان قوات مكافحة التمرد تحقق الفوز والنصر في معركة الاستخبارات الامنية. وبما ان النصر بهذا المعنى سيعني في اقرب الاحتمالات بأن المواطنين يخطون للأمام في مجال توفير المعلومات الامنية وتقديمها للقوات المحاربة للمتمردين، وسيعني كذلك ان قوات التحالف والحكومة العراقية تحقق الفوز وانها اخذت تكسب قلوب وعقول الشعب العراقي لتضمن بذلك مركز ثقل مهم وحاسم.

والمعيار المفيد الآخر هو النسبة المئوية للاتصالات مع العدو التي شرعت باجرائها قوات التحالف. وبامكان نظام القياس هذا حساب مدى التقدم المحرز في حرب المعلومات الامنية، التي تعد بديلا للدعم الشعبي في العراق. وسيدل نهج ايجابي في هذا المعيار على ان سكان العراق كانوا

يقدمون معلومات أمنية مؤثرة ومجدية وان زمام المبادرة اخذت تخرج من ايدي المتمردين وتنتقل الى القوات المحاربة لهم. وانطلاق هذا المعيار، اي النسبة المئوية للاتصالات مع العدو التي شرعت بها القوات العراقية، افضل كثيرا من عدد القوات العراقية في تحديد مستوى فعالية قوات الامن العراقية. واذا كان مقدرا لهذه النسبة المئوية للاتصالات ان تزداد، واذا كان مقدرا لحصتها المتعلقة لقوات اخرى غير القوات العراقية من بين قوات التحالف، فان ذلك سيدل على ان القوات العراقية اخذت تتحمل المزيد من الابعاء والمسؤوليات في ضمان الامن في العراق وتكسب دعم واسناد الشعب. كما يمكن للاتجاهات الايجابية ان تدفع الشعب لتقديم دعم اكبر لأمريكا، لان مثل هذا الدعم سيمكن من اجراء تخفيضات في عدد القوات الأمريكية في العراق.

والمقياس المفيد الآخر هو النسبة المئوية للمعلومات الامنية السرية المؤثرة عمليا والواصلة من سكان العراق المتناسبة مع النسبة المئوية المحرزة من خلال الرقابة العسكرية (طائرات الاستطلاع او دوريات قوات الامن على سبيل المثال) ورجال امن الحكومة وشرطتها السرية. واية زيادة في هذه النسبة ستدل على ان الناس يشاطرون التحالف في الاهداف ويشعرون بالامن والاطمئنان للظوع بتقديم معلومات أمنية حول المتمردين. الى جانب ذلك توجد "انظمة قياس سوقية". فقد استغل المتمردون، العاطلين عن العمل والجناة في طلب الدعم والاسناد

لتحركاتهم. وهم غالبا ما يدفعون الاموال وبسواء للعراقيين مقابل قيامهم بنصب المتفجرات والقنابل المؤقتة اضافة الى اعلان جوائز ومكافآت لكل من يقتل مسؤولين في الحكومة. وتدل هذه الاجراءات على ان حركة التمرد تصارع وتناضل لتوسيع نطاق وعدد قواتها المسلحة وانها ملزمة بدفع المال لشراء الدعم والاسناد. وسيكون استمرار اقتفاء اثر "السوق" اجراءاً مساعداً في هذا الجانب من القتال. فما هو ذلك المال الذي يعرضه المتمردون على اولئك الذين سيزرعون المتفجرات؟ ومانوع المكافأة التي سيضعونها على ارواح اعدائهم، وكيف يتغير ذلك الثمن مع مرور الزمن؟ والافتراض الكامن وراء هذه المعايير السوقية هو انه كلما كان السعر المعروض من جانب المتمردين اعلى، كلما كان عدد الراغبين لمساندتهم اقل. ومثل هذا التناقص في الدعم قد يدل على نجاح قوات التحالف والحكومة العراقية في تحسين الاوضاع الامنية، وخفض حجم البطالة، وتقوية تماسك الشعب مع النظام الجديد وهي امور ستترك عددا اقل من الشعب معرضين الى اقناع المتمردين او اجبارهم على التعاون معهم.

### دفع الثمن

لا توجد استراتيجية قادرة على وضع حد للتمرد بشكل سريع او بسهولة. وبهذا المعنى، فالاستراتيجية المطروحة هنا تعد الافضل من بين الاستراتيجيات الرديئة. وهي تتفوق على استراتيجية "واصل الطريق" وعلى

اتباع جدول زمني اعتباطي لانسحاب القوات من العراق، وهو الحل الذي دعا اليه عدد كبير من ناقدى ادارة بوش. والفضل الرئيسي لهذه الاستراتيجية يكمن في انها تعكس تفهما لمراكز الثقل في الحرب ولمحاولات تحقيق التعادل والتوازن للمطالبات المتنافسة احيانا لهذه المراكز في حين تعمل على ضمانها ايضا.

وستكون هناك بالطبع صعوبات كبيرة وعراقيل في طريق تنفيذ مثل هذه الخطة. اولها ان ايجاد تحالف لصفقة كبرى سيثبت وجوده وتحديه، لو سلمنا بالعداوات والاحقاد القائمة بين اطراف الشعب العراقي، وشكوك العراقيين ازاء نوايا الامريكان، الى جانب الجهل الثقافي للقوات الامريكية وصناع القرار السياسي في امريكا. والعقبة الثانية، هي ان الجيش الامريكي عليه ان يسير على خط دقيق وحرص بين المجازفة بفقدان عدد اكبر من جنوده بين قتيل وجريح بعد الهجمات المنفذة ضد الجنود الامريكان الموجودين داخل وحدات الجيش العراقي، وبين المغامرة بانهيار جهود الاستخدام في الجيش والاحتفاظ بالجنود الذي يمكن ان ينتج عن الاتكال المستمر على نشر القوات الامريكية الواسع. وثالثا، ان تشييد وتركيب قوات امن عراقية فعالة ومؤثرة سيكون عملية طويلة الامد ومتقطعة، وان عمليات بقعة الزيت اثبتت كونها مخيبة للجيش الامريكي الذي يفضل تحويل القتال الى ساحة العدو عبر عمليات هجومية تقليدية. وأخيراً، ان تنسيق وتوحيد العمليات الامنية والاستخباراتية واعمال اعادة الاعمار ستتطلب

مستوى من التعاون الامريكي – العراقي وجهدا موحداً امريكياً بعد كثيراً مما انتجته عملية الوكالة المتبادلة داخل واشنطن – وبضمنها تنسيق مركزي قوي وقيادة مسؤول سياسي كبير حاضر في الساحة، وهو السفير الامريكي لدى بغداد.

ان هذه الاستراتيجية، حتى لو كانت ناجحة، فانها ستتطلب على الاقل عقداً من التعهدات ومئات المليارات من الدولارات وستولد قوائم اطول من الاصابات في القوات الامريكية. لكن ذلك هو الثمن الذي ينبغي على امريكا دفعه اذا ارادت تحقيق اهدافها الهامة في العراق. هل يوجد استعداد لدى افراد الشعب الامريكي والجنود الامريكان لدفع هذا الثمن؟ لا يمكن للادارة الامريكية ايجاد الجواب لهذا السؤال الا متى ما بادرت الى طرح استراتيجية واضحة للنصر على الشعب والجنود وتجهيزهم بتفهم تام للتضحيات المطلوبة. واذا لم يكن الامريكان بمستوى المسؤولية وعجزوا عن اداء هذه المهمة، فان واشنطن ملزمة بقبول الحقيقة بأن عليها الاستقرار على هدف اكثر اعتدالاً وتواضعاً: وهو تدعيم وتقوية نفوذها المتداعي والآيل للسقوط لاحباط مناورات الايرانيين والسوريين الرامية الى ايجاد حليف من حاكم العراق المستبد القادم.